جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

ملخص محاضرات : إبستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال

المستوى : الأولى ماستر

التخصص : سمعي بصري

الأستاذ (ة) : حجام الجمعي

السنة الجامعية 2021/2020

مقدمة : الابستمولوجيا حقل معرفي جديد ومتجدد مواكب لروح العلم وتحولات العقل المعرفي النقدي في جوانبه الفكرية الفلسفية وجوانبه المادية الواقعية. مما يجعل هذا العلم القديم جدا يتجدد باستمرار ويواكب طفرة الفكر الانساني والعقل البشري ليكون كملتقى لتقاطع وتجاسر مختلف العلوم النظرية والتطبيقية. وهذا ما يذهب إليه الفيلسوف محمد عابد الجابري الذي يؤكد أن هذا العلم أي الابستمولوجيا ، أو على الأصح هذا النوع من الدراسات والأبحاث قديم جدا وحديث جدا في آن واحد. ومعروف لدى الجميع أن محاولة الفصل في الشيئ الواحد بين ما هو قديم وما هو جديد ، محاولة صعبة وشاقة ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بميدان المعرفة البشرية ، التي تتداخل أجزاؤها وتتشابك فروعها والتي تشكل على الرغم مما يحدث فيها قفزات وثورات سلسلة متواصلة الحلقات، يصعب أحيانا إن لم يكن يستحيل فصل بعضها عن بعض، أو مجموعة منها عن السلسلة كلها، فصلا نهائيا وتاما". [1]

وإذا كان البحث العلمي والفكر النقدي يطلعنا على الاقرار بصعوبة التحكم والسيطرة على هذا الحقل المعرفي الشاق والشيق سواء من حيث المناهج البحثية أو أو الأساليب العلمية والأدوات المعرفية ، فإن إبستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال ، تكون معقدة بشكل أكبر ، خاصة وأن هذا العلم الحديث نسبيا يعتبر ملتقى لمختلف العلوم الانسانية والاجتماعية والتجريبية الرياضية والتقنية

فعلوم الاعلام والاتصال سواء بصيغة الجمع ، أو علم الإعلام والاتصال بصيغة المفرد ، لا يزال محل جدل علمي ولا تزال الجهود الأكاديمية ، تبحث له عن تصنيف بين العلوم وفروع المعرفة العلمية المختلفة. ففي الوقت الذي يتفاءل بعض الباحثين بإمكانية قيام هذا العلم كعلم قائم بذاته سيما وأنه يتغذى من مختلف الروافد المعرفية للحقول العلمية الأخرى ، كعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثربولوجيا والفلسفة وعلم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم التجريبية. وأن الجهود العلمية ومراكز البحث الأكاديمية في مختلف السياقات راكمت النظريات والبحوث والدراسات والمناهج التي تعتبر الأرضية لاصطباغ الاعلام والاتصال بالصبغة العلمية ، لأنه راكم معارفه العلمية وأدواته وعدته المنهجية .

لكن بالمقابل يرى أكاديميون آخرون أن هذا الحقل المعرفي لا يرق ليكون علما قائما بذاته ، لأنه في حالة تبعية مزمنة للحقول المعرفية الأخرى التي خرج من رحمها خاصة علم الاجتماع وعلم النفس ،

لأنه لم يستقل بمناهجه وأساليبه وأدواته البحثية ، ولا يزال يستند في أسسه النظرية المعرفية للنظريات التقليدية التي يستعيرها من مختلف العلوم.

وتأتي هذه المحاضرات لإطلاع الطلبة على المعارف نظرية ذات علاقة بالتخصص ومساعدتهم على التعرف على أهم نظريات الاتصال في علاقتها بالاتصال ومعرفة أهم الاتجاهات الابستمولوجية ودلالتها في علوم الاعلام والاتصال. أي دراسة العلوم وفرضياتها ونتائجها ، دراسة نقدية وهذه الدلالة مرتبطة بالمعنى الاشتقاقي للكلمة. وهذا الأهداف تتطلب معارف مسبقة مطلوبة يتعين على الطلبة ، الإلمام بمعارف نظرية والتطورات التي طرأت على الميدان العلمي حتى يمكنه ربط التطورات الاجتماعية الثقافية العلمية بالواقع.

أما بخصو محتوى المادة الدراسية ، فتتناول هذه المادة دراسة وتحليل اهم الاتجاهات الابستمولوجية لعلوم الاتصال من حيث نشاتها وتطورها وتطبيقاتها في المجال الاعلامي ،كما يتضمن ذلك دراسة هذه النظريات بهدف تفسير ظاهرة الاتصال ومحاولة التحكم فيها والتنبؤ بتطبيقاتها واثرها في المجتمع. وفيما يلي محاضرات المحورين ، الأول والثاني.

المحور الاول : مدخل إلى الابستومولوجيا

1-مفهوم الابستومولوجيا

2-مهام الابستمولوجيا

3-أهم الاتجاهات الابستمولوجية (ديكارت ، إيمانويل كانط ، غاستون باشلار ، ميشال فوكو ، كارل بوبر)

المحور الثاني: ابستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال

1-هل فروع الاتصال تستحق وصف العلوم

2-ميلاد علوم الاعلام والاتصال

3-علوم الإعلام والاتصال، تخصص متعدد التخصصات

المحاضرة الأولى : مدخل إلى الابستمولوجيا

1-مفهوم الابستمولوجيا :

تتعدد الجهود العلمية التي اهتمت بالابستمولوجيا كنزعة علمية مهتمة بنقد المعرفة العلمية ، سواء في أبعادها الدلالية والاشتقاقية اللغوية أو في تراكميات أبعادها المعرفية، كحقل معرفي متعدد المناهل الفكرية والمشارب الفلسفية والمناهج والأساليب البحثية والمجالات والتخصصات العلمية. وهذا التعدد أنتج تنوعا وتعددا ليس فقط في الاشتقاقات اللغوية والدلالات العلمية ، ولكن أحدث ثورة في نمو وتطور المعرفة العلمية واتجاهاتها التنظيرية . وتلتقي هذه الجهود باعتبار الابستمولوجيا ، علم العلوم ، أو فلسفة العلوم ، أو نقد للمعرفة العلمية ، أو نظرية المعرفة العلمية.

ويختلف الفلاسفة وكبار الابستمولوجيين أنفسهم أحيانا حول مدلول وموضوعات الابستمولوجيا فالفلاسفة الفرنسيون يتصورون أن موضوع الابستمولوجيا هو نقد المعرفة العلمية ، من تحليل وتمحيص للمناهج العلمية وللتصورات والمصادر الأساسية التي ينطلق منها العلماء إلى قوانينهم ونظرياتهم ، وتصنيف العلوم واختلاف بعضها عن بعض في طبيعة البحث فيها، وطبيعة قضاياها وكيف تتطور هذه المناهج وتلك المصادر والدوافع لهذا التطور. بينما وفي المقابل يتجه الفلاسفة والمفركون البريطانيون إلى إدراج هذه الموضوعات في إطار فلسفة العلوم وليس في باب الابستمولوجيا ويحددون للابستمولوجيا مواضيع مختلفة ، منها مناقشة موقف الشك المطلق في المعرفة أو إمكان حدوث المعرفة الموضوعية من عدمها ، ومصادر المعرفة وحدودها ، وطبيعة المعرفة التجريبية وإمكان وجود معرفة قبلية غير تجريبية ، وموضوع اليقين والاحتمال في المعرفة العلمية.[6]

وسنبرز فيما يلي بعض التعاريف في تنوعها لتوضيح الغموض الذي يكتنف المفهوم بسبب تشعب ارتباطاته وتقاطعاته مع فلسفة العلم والمعرفة العلمية، دون التسليم بوجود تعريف شامل ودقيق.

أ-الابستمولوجيا لغة : تتشكل كلمة ابستمولوجيا من كلمتين يونانيتين ، إبستيم Epistime وتعني العلم ، ولوجي Logie وتعني علم أو نقد أو نظرية أو دراسة نقدية للعلوم".

ب-الابستمولوجيا إصطلاحا :

يرى لالاند أن الابستمولوجيا ، **تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم** ، ولكن بمعنى أكثر دقة فهي ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم ، لأن هذه الدراسة هي موضوع للميتودولوجيا والتي هي جزء من المنطق

كما أنها ليست أيضا تركيبا أو توقعا حدسيا للقوانين العلمية (على الطريقة الوضعية) ، وإنما بصفة جوهرية هي الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية ، الدراسة الهادفة إلى بيان أصلها ، (المنطقي لا النفسي) وقيمتها الموضوعية ، وينبغي أن نميز الابستمولوجيا عن نظرية المعرفة ، بالرغم من أنها تمهيد ، لها وعمل مساعد لا غنى عنه من حيث انه تدرس المعرفة بتفصيل وبكيفية بعدية ، في تنوع العلوم والموضوعات لا في وحدة الفكر". [2]

ويعرف الجابري الابستمولوجيا بأنها "الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ولفروضها ونتائجها ، بقصد تحديد أصلها المنطقي ، وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية". [3]

ويعلق الجابري على مفهوم لالاند للابستمولوجيا بأنه يميز بين الابستمولوجيا من جهة والميتودولوجيا (علم المنهجية) وفلسفة العلوم بمعناها العام ، من جهة أخرى . وواضح أنه لم يتطرق لذكر نظرية المعرفة ، غنوسيولوجي ، لأنها تختلف في نظره وفي نظر الفرنسيين عامة ، عن الابستمولوجيا بمعناها الدقيق الخاص". [4]

وتعرف الابستمولوجيا اصطلاحا بأنها تقييم للحصيلة العلمية والموضوعية والمنهجية للعلوم ونتائجها ، وإظهار تأرجحها بين الذاتية والموضوعية ، وتقييم مناهجها مما يجعل منها وعيا نقديا للعلم الموضوعي. ويعرفها الباحث المغربي سالم يفوت الابستمولوجيا باعتبارها نظرية الانتاج النوعي للتصورات العلمية ، إنها النظرية التي تهتم بتشكيل نظريات كل علم على حدّة". [5]

وتوجد مجموعة من التعاريف المرجعية التي أوضحت مفهوم الابستمولوجيا ، لكن تبقى على حد تعبير "روبير بلونشيه" في كتابه "الابستمولوجيا" (1977) لم تكتسب بعد صيغتها النهائية ، لانها مازالت مشتتة بين جذورها الفلسفية ، وبين علاقتها المباشرة الحالية مع العلم من جانب آخر. ويهتدي للقول : "اذا نظرنا للابستمولوجيا في علاقتها بالعلم فاننا نجد أنها عبارة عن نشاط من مستوى أعلى ، موضوعه هو العلم نفسه. فالابستمولوجيا عبارة عن تفكير عن العلم. ويختم ، بالقول أنه لا ينبغي أن نقلل من قيمة الجهود التي يبذلها الباحثون في ميدان الابستمولوجيا من أجل الانتقال بالحوار الابستمولوجي من المستوى الفلسفي إلى المستوى العلمي الموضوعي ، وبمقدار نجاحهم في هذه المهمة ، فإنهم يكونون قد عملوا حقيقة على تقدم المعرفة الانسانية.

ج-كيف تكونت الابستمولوجيا كعلم أصيل ومستقل:

يجيبنا على هذا السؤال روبرت بلونشيه، في كتابه "الابستمولوجيا 1977. وذلك بالنحت في تطورات فلسفة العلم ، والتعمق في تفاصيل ميلاد العقل النقدي بتكوينه الدقيق. ويرى "بلونشيه" أنه في الوقت الذي بدأ فيه المفكرون مع مطلع القرن الماضي ، يشككون في بعض المبادئ العلمية لما سيطلق عليه بعد ذلك بقليل إسم "العلم الكلاسيكي" ظهرت وتطورت تلك الحركة العلمية الضخمة التي أخذت إسم "الحركة النقدية للعلوم".[7] هذا النقد الذي تصدى للطابع التأكيدي القطعي في العلم والذي قاده مفكرون يتميزون بتكوينهم العلمي الدقيق، قد انصبت اساسا على طبيعة القوانين العلمية ونظريات الفيزياء. وفي نفس الوقت الذي أدت أزمة الأسس التي فجرتها نقائض نظرية المجاميع ، إلى إرغام علماء الرياضيات على إعادة النظر في مبادئ علمهم. ولقد كان هذا الالتقاء بين التطبيق العلمي ، والتفكير الفلسفي ، هذا الالتقاء الذي تتطلبه ، حالة العلم نفسها، والذي أصبح اليوم نادرا نظرا لتطور العلم وما نتج عنه من تخصص العلماء الضيق في موضوعات بعينها، هو الذي أدى إلى تكوين الابستمولوجيا كعلم اصيل مستقل.[8] وهذا الطرح أكده أيضا الكثير من الفلاسفة والمفكرين

المحاضرة الثانية : الاتجاهات الابستمولوجية الكبرى الغربية والعربية

1-أهم الاتجاهات الابستمولوجية الغربية :

تمهيد : ساهم تحرير العقل الغربي من العوائق المعرفية ومن مختلف أشكال الأسر الذي كانت تفرضه قوى الهيمنة القائمة ، سواء تلك التي تأسست على السلطة الدينية بقواها الغيبية والروحية ، أو السلطة المطلقة لنظام المماليك المتحالفة مع النظام الاقطاعي لاحتواء الانسان وكبح طاقاته الفكرية والابداعية . هذا التحرير للعقل الغربي من كل تراكمات هذه البنى غير العلمية ، وانتهاج النزعة العلمية في وصف وتفسير وتحليل الظواهر مكن من تحقيق الطفرات العلمية المتتالية والمتسارعة ، وظهرت عدة اتجاهات ابستمولوجية ، كانت لها أدوارا بارزة ومهمة في إحداث تطورات مذهلة في مختلف مجالات المعرفة العلمية ومن خلالها في الحياة العامة للبشرية.

وفيما يلي سنحاول تلخيص أهم الاتجاهات الابستمولوجية وتأثيراتها العميقة في العقل العلمي ومخرجاته المعرفية.

1-1-الأسس الابستمولوجية في فكر ريني ديكارت (1596-1650) :

يمثل ديكارت أهم أقطاب الفلسفة الوجودية بنزعتها العقلانية ، ولقد امتد تأثير مشروعه الفلسفي بشكل مذهل في العقل الفرنسي والعقل الغربي بشكل عام . تركزت جهوده في نقد البنى غير العقلية في العقل والبني غير العلمية في العلم. ويعتبر البعض فكره من أهم روافد فلسفة الأنوار المقدسة لسلطة العقل ، ويعتبره البعض أب الفلسفة الحديثة.

وتمثل ابستمولوجيا ديكارت نزعة فلسفية عقلانية تعتمد على العقل بشكل أساسي في والطريق الوحيد لاكتساب المعرفة العلمية.[9] ولقد ضمن كتابه "تاملات في الفلسفة الأولى" هذه الافكار ، كما اهتم ديكارت بعلم المنهج ، بوصفه مسلكا أساسيا لبلوغ الحقيقة . وألف كتاب بعنوان "مقالة في المنهج" 1670. والمنهج سواء الاستنباطي او الاستقرائي ، هو الموجه الصادق للعقل ، وأرجع ديكارت أسباب تاخر العلم في عصره ، إلى عدم اتباع مناهج واضحة. وعرف المنهج بأنه "قواعد مؤكدة بسيطة إذا رعاها الانسان مراعاة دقيقة استطاع ان يصل بذهنه إلى اليقين".[10] وفي هذا الصدد يقول "الناس تتحكم فيهم رغبة عمياء في الاستطلاع حتى أنهم يوجهون أذهانهم في طرق غير معلومة ".

1-2-الأسس الابستمولوجية في فكر إيمانويل كانط :

تأسست الفلسفة النقدية لكانط على نقد عقلانية ديكارت ودحض المذهب التجريبي الحسي ، لفلاسفة من أمثال جون لوك، ودافيد هيوم واجتهد للتأسيس لعقلانية أخلاقية أو نظرية الواجب الأخلاقي التي تنبني على الإرادة الحرة. ضمنها في كتابه "نقد العقل العملي" الذي ضمنه مباحث في الاخلاق والضمير الانساني.

وتضمن كتابه المشهور "نقد العقل المجرد" 1781. هذا النقد للعقلانية الديكارتية ، واستقصى فيه محدودية وقصور العقل البشري. وحاول إيمانويل كانط التوفيق بين المذهبين التجريبي الحسي من جهة والعقلي من جهة أخرى لتاسيس نظريته المعرفية ، بنقد كل من المعرفة اليقنية العقلية الجامدة وجوانب القصور في المعرفة الحسية التجريبية. وتوصل كانط بفلسفته العقلانية النقدية والتأملية الى تجسير الهوة بين العقلانيين والتجريبيين. باعتبار ان العقلانيين قد رأوا ان في الطبيعة نظاما ومنطقا مما جعلهم يعتقدون أنه من الممكن اكتشاف النظام الطبيعي واستخلاصه من مبادئ أولى بدون الالتجاء الى الواقع. بينما يرى التجريبيون على غرار دافيد هيوم ، أن للوقائع والخبرات دور كبير في تحقيق المعرفة خارج العقل.

لكن كانط نجح في التوفيق بين هذين الاتجاهين المتناقضين ، وانتهى إلى القول: "إن كل ما ينظم ويضفي بنية على خبرتنا لا يمكن أن ينشأ من الخبرة ، بل لا بد أن تكون هذه القدرة على التنظيم والبناء والمفهمة من داخلنا. أي أن كل ما ينظم ويبني خبرتنا لا يصدر عن الأشياء التي هي موضوع معرفتنا وإنما من أنفسنا.[11] وهكذا يكون كانط عكس الرأي الاساسي الذي مفاده ، أن المعرفة تحدث عندما تتأثر الذات بالشيئ ، أي أن الشيئ كما نعرفه هو الذي يتكشل ويتالف ويتكون بطريقة الذات.[13] وذلك كان جوهر نظرية المعرفة عند كانط [12] وهكذا يكون كانط قد بين أن العقل لا يعكس العقل الخارجي كما هو ، بل إنه في الواقع يخلق هذا العالم من حيث تركيبه المنطقي. فالتجربة بدون نشاط العقل لا تستطيع أن تقدم لنا غلا سلسلة من الأحوال العقلية المتتابعة مثل الصور الفوتوغرافية.

يقول كانط "السبب الذي يجعلنا نفكر في العالم تفكيرا منظما وعلميا لا يكمن في كون العالم المادي عالما رياضيا بقدر ما يمكن في كون العقل الذي يقوم بعملية التفكير يفكر بطريقة رياضية".[14] فالعقل آلة منطقية تطبع الأفكار العقلية تماما كما تطبع آلة الطبع الكلمات، أو كما تطبع الآلة الكاتبة

الحروف. فايا كان ذلك الذي يدركه العقل ، وأيا كان ذلك الذي يقدمه العقل في نهاية الامر الى نفسه، فهو دائما منطقي وعلمي، نظرا لكون الصور أو البنيات العقلية التي تؤلف المعرفة مبنية على مبادئ علمية. وسلم كانط بوجود شيئ ضروري وصحيح صحة كلية في معرفتنا. أي وجود بنى فكرية في شكل صور ، أو مقولات ترانسندانتالية قبلية في العقل. أي سابقة للخبرة ومستقلة عنها، كما افترض أن جميع البشر لهم هذه الصور أو البنيات الرئيسية ذاتها ، وهي فطرية في البشر وثابتة وصحيحة صحة كلية ، فهي موجودة في كل الذوات كشرط ابستمولوجي في لإمكانية المعرفة الموضوعية ، أو المعرفة الحقة. وهكذا فلا يمكن لمحتويات الخبرة أن تصبح معرفة إلا بهذه الشروط الابستمولوجية [15](عبد الله ثاني قدور ، ابستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال، ص24).

في الأخير يجب الاشارة إلى التأثير العميق لفلسفة كانط حول المعرفة العلمية ، والتي اشترط مجموعة من المبادئ لقيامها ، كالزمان والمكان والسببية وعدم التناقض. بمعنى السياق، ويسمى في علوم الاعلام والاتصال السياق الاتصالي بحيث لا يمكن فهم الخطاب إلا في السياق السوسيوثقافي الذي ينتجه.

1-3-الأسس الإبستمولوجية في فكر غاستون باشلار :

تقوم المعرفة العلمية لغاستون باشلار حول فكرة القطيعة الابستمولوجية ، التي ترفض بشكل ثوري المراحل ما قبل العلمية المضادة للتفكير والتمعل. وبالتالي فهي لا تعترف بالأنساق المعرفية والبنى العقلية الجاهزة كحقائق ثابتة. وتعتبر العقل العلمي المنتج للمعرفة العلمية هو العقل المستمر في التفكير النقدي لما يعتبر حقائق ثابتة وغير المعترف بنسق أو أنساق نهائية للفكر.[16] كما يرى باشلار أن المعرفة العلمية محكومة بنظام التطور المستمر ، بحكم أن العقل العلمي عرف مسارات زمكانية تتباين فيها التطورات العلمية المحققة ، فكل تحقيب لمعرفة علمية معينة تحيلنا إلى ظهور معرفة علمية أكثر تقدما من المعرفة السابقة ، قد تكون نتيجة لنقد علمي لمعرفة سابقة.

وبالتالي فتولي ابستمولوجيا غاستون باشلار، إهتماما كبيرا للنقد العلمي ، كأداة ومنهج تفكير لتشخيص مواطن النقص والخلل في المعرفة العلمية ، وبالتالي فهي ليست فلسفة احتفائية للتباهي الاستعراضي بالايجابيات التي تحققها التطورات العلمية بشكل مضطرد. وإنما تبحث في مواضيع المعرفة العلمية ومناهجها وإشكالياتها ، لتقدم الحلول العلمية لمختلف الكوابح والعراقيل الابستمولوجية التي تحول دون توصل العقل لإنتاج المعرفة العلمية.

وبالتالي فابستمولوجيا غاستون باشلار تنبني على مبدأ أساسي وهو ، نسبية المعرفة العلمية. أي أنه لا توجد معارف مطلقة ونهائية ، إضافة إلى مبدأ التدارك والتصحيح للأخطاء أو القابلية للمراجعة ، أي المعرفة العلمية يمكن مراجعة أسسها وقوانينها والحقائق التي تفرزها وتتمخض عنها. مما يجعل المعرفة العلمية في مواكبة مستمرة لحركة تطور العلم .[17]

ودعما لهذا الطرح يقول باشلار "إن في تاريخ العلوم قفزات كيفية ، ينتقل بفضلها إلى نظريات جديدة ، لا يمكن النظر إليها ، على أنها مجرد استمرار للفكر السابق. فبقدر ما تتحقق القفزات النوعية بقدر ما تتحقق قطيعة ابستمولوجية بين الفكر العلمي والمعرفة العامية، وبين النظيات العلمية الجديدة والنظريات العلمية السابقة عنها".

1-4-الأسس الابستمولوجية في فكر ميشال فوكو :

تنبني ابستمولوجيا ميشال فوكو بشكل أساسي على مقاربته الثورية لثنائية المعرفة والسلطة ، وتتبع ميشال فوكوا نهج الحفر المعرفي عن تشكل الحقيقة عبر تاريخ المجتمعات الانسانية بداية بالمجتمعات الاغريقية القديمة ممثلة في أرسطو وأفلاطون وصولا للمجتعات الحديثة والتأسيس للحقيقة العلمية ، بالارتكاز إلى أفكار رينيه ديكارت كأب الفلسفة الحديثة ورائد من رواد المذهب العقلاني في تشكل المعرفة العلمية.

ويتصور ميشال فوكو في مشروعه الفلسفي ، أن الحقيقة هي ما يجب أن يتفق حولها العقل ، ويذهب أبعد من ذلك بطرح ، تعدد الأنساق العقلية وبالتالي تعدد أنواع الحقائق بدل التسليم بحقيقة واحدة

ويعتبر هذه التعددية في وجوب الإقرار العقلاني بالحقيقة ، تعتبر بمثابة الأرضية للفكر الخلاق والمبدع فوراء كل فكر خلاق فكر اختلاف تعددي . وبالتالي فإنتاج الحقائق تخترقه علاقات السلطة بأبعادها وأهدافها المتباينة ، لكن قول الحقيقة يتطلب الذات العارفة والتي هي موضوع المعرفة.

وهكذا يحيلنا تفكير ميشال فوكو الذي اشتغل بعمق في تحليل علاقات الهيمنة والسلطة في الخطاب إلى أن تحول الذات العارفة إلى موضوع معرفة هو المرتكز الأساسي لظهور المعرفة العلمية بشكلها الراهن الذي ينعت بالابستمولوجيا. معتبرا إياها أي الابستمولوجيا حقل معرفي يسمح بمساءلة نقدية للمعرفة في مختلف جوانبها وأشكالها التي يطرحها الراهن المعرفي في تراكمياته عبر آلية الخطاب.

وتعتبر مقاربة ميشال فوكو للخطاب باعتباره مجموعة من الأنساق اللغوية والرموز الدلالية والسمعية البصرية، مقاربة ثورية ليس لوصف الخطاب الاعلامي والاتصالي، فحسب ولكن لتحليله وفهمه واستخلاص علاقات الهيمنة والسلطة فيه.

1-5-الأسس الابستمولوجية في فكر كارل بوبر (1902-1994):

يمثل الفيلسوف النمساوي الانجليزي، كارل بوبر واحد من أبرز اقطاب المعرفة العلمية الحديثة ويشتهر كفيلسوف متخصص في فلسفة العلوم ، بطرحه الثوري حول "القابلية للتكذيب أو الدحض المنهجي. بحيث حاول رسم حدودا فاصلة بين العلوم والميتافزياء عبر مبدأ التكذيب. معتبرا أن كل ما يقبل التكذيب يدخل في إطار العلوم ، وكل ما لا يقبل التكذيب يدخل ضمن الميتافيزياء.[18]

ولقد بنى كارل بوبر فكره النقدي ، بتمحيص ونقد أبرز النظريات العلمية في عصره ، كنظرية مارس حول المادية التارخية ، ونظرية سيغموند فرويد في علم النفس. وتمكن من خلال ملاحظاته الدقيقة والتأملية في سيروراتها التاريخية والسياقية، من التوصل لدحض بعض أطروحات هذه النظريات العلمية . وفي هذا السياق يرى بوبر أن العلوم هي النشاط الانساني الوحيد الذي يقدم نقده المنظم للأخطاء ثم مع الوقت يتم تصحيحها.

وربما يتقارب المنهج النقدي لكارل بوبر مع بعض مبادئ وأفكار المعرفة العلمية لغاستون باشلار سيما ما تعلق بنسبيتها ، وعدم حدوث الطفرة العلمية دفعة واحدة ، إضافة إلى اعتبار النقد المحرك الأساسي للمعرفة العلمية والخيال الابداعي المنتج للتطور والتحديث المستمر للنظريات العلمية . لكن كارل بوبر يؤمن بنظام يحكم العلوم حتى قبل اختبارها وهو ما يسميه بالرضا النسبي المحتمل، إضافة إلى تبنيه لفكرة نمو العلم والمعرفة العلمية ، عبر تكرار اسقاط النظريات العلمية وإحلال مكانها نظريات أخرى أكثر ملاءمة. (مثلا في علوم الاعلام والاتصال بعد تفسير التأثير المباشر لوسائل الاعلام على الجماهير أو ما يسمى نظرية الطلقة السحرية أو الحقنة تحت الجلد ، جاءت نظريات التأثير المحدود والانتقائي، التي تنظر للجماهير باعتبارها نشطة وتنتقي ما يلبي احتياجاتها من المعلومات والأخبار وهكذا توالت النظريات العلمية المفسرة والمؤطرة للبحث العلمي الاعلامي والاتصالي) والخلاصة أن كارل بوبر يرى أن العلوم يمكن تصورها كمنظومة تتطور من مسائل إلى مسائل أعمق إلى ما لا نهاية.[19] ويعتبر كتابه "المجتمع المفتوح وأعداؤه" الذي ألفه سنة 1945 . من اهم الكتب التي ترجمت أفكاره حول فلسفة العلم ببنزعته النقدية.

المحاضرة الثالثة : الاتجاهات الابستمولوجية العربية

تمهيد : من المفارقات الابستمولوجية نسب هذه الابستمولوجيا كحقل للمعرفية النقدية للعلوم بنزعة فادحة للعقل العلمي الغربي ، وتجاهل إسهامات العقل العربي في هذا المجال ، الذي يستعرض تراكمية مخرجات العقل العلمي الانساني ، ويعرض جهوده التنظيرية للمراجعات والمساءلات النقدية المستمرة وتتعدد إسهامات الفلاسفة والعلماء والمفكرين العرب في المعرفة العلمية عبر مختلف المراحل والتحولات التي مر بها الفكر العلمي الإنساني، ونظرا لتشعب مجالات المعرفة العلمية في الفضاء العربي والاسلامي والتداخل الكبير بين العلوم الدينية والتي تنعت بالعلوم الشرعية ، والعلوم الوضعية الاجتماعية والانسانية والطبيعية والتجريبية والتقنية، وتمازجها وتقاطعها مع مخرجات المعرفة العلمية للعقل العلمي الغربي. فقد استقطب هذا الحقل المعرفي جهود فلاسفة ومفكرين كبار على غرار محمد عابد الجابري ، والذي سنبرز إسهاماته في بلورة غبستمولوجيا العقل العربي.

1-إبستمولوجيا محمد عابد الجابري :

سنتناول الجوانب الابستمولوجية للمعرفة العلمية العربية من وجهة نظر المفكر والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري ، الذي كرس مجموعة من المراجع العلمية الهامة لفهم بنية العقل العربي الفكرية والأخلاقية ، باستحضار التراث الثقافي العربي ، وإخضاعه للمساءلة النقدية علميا ومعرفيا.

2-القواعد الاستمولوجية للمعرفة العلمية العربية حسب الجابري :

صنف الجابري الثقافة العربية ابستمولوجيا في الفترة التاريخية الممتدة من القرن 8 ميلادي إلى القرن 11 ميلادي. إلى نظام معرفي بياني ، ونظام معرفي عرفاني ونظام معرفي برهاني. على أساس أن العقل العربي هو الأداة المنتجة لهده النظم المعرفية في التراث ، لقد حدد مفهوم العقل العربي تحديدا علميا /إبستمولوجيا وليس إيديولوجيا. فالعقل حسبه "الفكر بوصفه أداة للانتاج النظري صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثقافة العربية بالذات ، الثقافة التي تحمل وتعكس وتعبر في ذات الوقت عن عوائق تقدمهم وأسباب تخلفهمالراهن". وهو يأخذ بمفهوم العقل المكون (المتشكل) لتحديد مفهوم العقل العربي، "إنه جملة المبادئ و القواعد التي تقدمها الثقافة العربية للمنتمين إليها كأساس لاكتساب المعرفة أو لنقل تفرضها عليهم كنظام معرفي". [20]

فالعقل العربي عبارة عن نظام معرفي معين (إشكاليات ، مفاهيم ورؤى ومناهج) الذي يؤسس الثقافة العربية الاسلامية وفيما يلي أهم القواعد الابستمولوجيةالخاصة بكل نظام معرفي التي استنبطها الجابري وهو يمارس عملية النقد الابستمولوجي للعقل العربي:

أ.القواعد الابستمولوجية المشكلة للنظام المعرفي البياني:

وسمي بالبياني لأن فعله المعرفي البيان أو الظهور والاظهار والفهم والإفهام ، مجاله اللغة العربية وعلوم الدين بوصفها نظرية قوانين تفسير الخطاب ، تتمحور رؤيته للعلم أي هذا النظام حول ثنائيات ، (اللفظ والمعنى) ، (الأصل والفرع) المحددين لأسس التفكير البياني ومنهجه، وثنائية (الجوهر والعرض) المؤسس للرؤية البيانية ومؤطرها.

وتوصل الجابري الى أن اللغة العربية هي المحدد الابستمولوجي الأساسي للعقل العربي البياني بنية ونشاطا، إذ أن لها دورا في تأسيس علومه البيانية وبنائها وتطويرها وبخاصة أنه في عصر التدوين تم تأسيس علم اللغة العربية قائما بذاته، إنه الانتقال باللغة العربية من مستوى اللاعلم إلى مستوى العلم". [21]

ب. القواعد الابستمولوجية المشكلة للنظام المعرفي العرفاني:

وسمي هكذا لأن فعله المعرفي هو الكشف أو العيان الصوفي مجاله العقائد والأساطير المتلونة بلون الاسلام ، وهو عبارة عن نظرية في التاويل السياسي للخطاب الديني (اللغة) يتمحور حول ثنائيات (الظاهر /الباطن) ، يستثمر اللغة بتوظيف اللفظ والمعنى البيانيين ، والثنائية الثانية (الولاية /النبوة) ويوظف السياسة . ويخدمها علاقة هذين الزوجين بالأزواج الثلاثة البيانية التوازن والتكافؤ.

إن الجابري في عمليته التحليلية النقدية لمكونات النظام المعرفي العرفاني (التصوف ، الكيمياء ، فلسفة ابن سينا المشرقية ، السحر ، التنجيم....) انتهى وهو يوظف المنهج التاريخيفي البحث عن أصولها المنهجية والمعرفية إلى أن هذه الأخيرة تعود الى الموروث القديم في مختلف التيارات الفكرية اليهودية والمسيحية المجوسية ..... وما كان يهم الجابري في هذا الموروث الثقافي القديم ليس مضمونه الايديولوجي، بل الجانب الابستمولوجي منه. فهو لم يقم بعملية الربط بين الثقافة العرفانية والوظيفة الايديولوجية لذلك الموروث ، بل بحث عن أسس المعرفة اللاعقلانية في هذه الثقافة.[22]

ج.القواعد المعرفية المشكلة للنظام المعرفي البرهاني:

وسمي بالبرهاني لأن فعله المعرفي الاستدلال الاستنتاجي ، مجاله المعرفي المعرفة الفلسفية البرهانية المترجمة خاصة عن كتب أرسطو ، إنه نظرية العلاقة بين النحو والمنطق على مستوى المنهج ، والكلام والفلسفة على مستوى الرؤية ، يتمحور حول زوجين هما : (الألفاظ/المعقولات ، مقابل ثنائية (اللفظ/المعنى البياني) ، والثنائية (الواجب/الممكن) مقابل (الأصل/الفرع ، والجوهر/العرض البيانيين).

إن الجابري في عمليته التحليلية والنقدية لمكونات النظام المعرفي البرهاني (فكر الكندي) (ابن باجة) (ابن رشد) (ابن خلدون) انتهى وهو يوظف المنهج التاريخي في البحث عن أصولها المنهجية المعرفية الى أن الأخيرة تعود من حيث المنهج الأرسطي تحديدا ومن حيث الرؤية الى الفلسفة الأرسطية بمساعدة عامل ترجمة الكتب اليونانية. [23]

عندما طبق الجابري منهجه النقد الابستمولوجي على العقل العربي البرهاني ، انتهى الى وجود ترابط بنيوي بين مكوناته المنهجية والمعرفية ، فما يؤسسها ابستمولوجيا هو وحدة الاشكالية التي تمثلت بطبيعة العلاقة بين الدين والفلسفة، وهي علاقة اختلاف في المنهج واتفاق في الهدف والتي كانت حاضرة في تأسيس الفلسفة الاسلامية مع ابن رشد خاصة. بالاضافة الى وحدة الموضوع المتمثل في النص الديني الذي فسر من الناحية الشرعية (علم أصول الفقه) مع الشاطبي ، ومن الناحية العقائدية (تفسير العقيدة)ابن رشد.

ويخلص الباحث رشيدة عبه "ما نستنتجه مما سبق ذكره، أن الجابري مارس عملية النقد الابستمولوجي للعقل العربي في طابعه النظري حلا لاشكالية الأصالة والمعاصرة ، كاشفا بذلك أهم القواعد الابستمولوجية التي شكلت بنية العقل العربي البياني والعرفاني والبرهاني . وكان يهدف من وراء ذلك الى تحقيق النهضة العربية في الفكر وفي الواقع العربيين المعاصرين". [24]